

الذي أرادوا، وإن أظهر الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرغوا، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة، فما تظن قريش؟ فوالله لا

أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله، أو تنفرد هذه السالفة:

فقوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب) يدل أكبر دلالة على أنه لم يكن يحاربهم عن عداوة لهم، ولا عن إرادة انتقام منهم، بل كان يحاربهم وهو كاره لهذه الحرب، لأنه يقتل فيها أرحاما يعز عليه تقتيلها وإن كانت طالمة، ولا يضر لها إلا حب الخير، ولا يريد لها إلا السعادة والهناء، ولا تجتمع هذه النية لهم في قلب يضر عداوتهم، لأن القلب العامر بحب الخير للمخالفين لا يعرف العداوة التي تمنعه من حب الخير لهم، فلم يكن شأن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معهم إلا كما قال الشاعر:

أريد حياته ويريد قتلي * * * عذيرك من خليلك من مراد

وقد بر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عليهم هنا أعظم بر، وحنا عليهم أعظم حنو، فلم يزل لهم حتى رضوا بعقد صلح معه، وكان صلحا فيه نفع كثير لهم، وفيه غبن كثير للمسلمين، ولكنه ضمن عليهم بالقتل، لأن قلبه عامر بحب الخير لهم، ولا يزال يطمع في إيمانهم.

ثم ضرب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مثلا ثالثا في بر المخالفين، وهذا مع المنافقين الذين كانوا يخفون الكفر ويظهرون الإسلام، فكان يقبل منهم ظاهرا هم ويتغاضي عما يحصل منهم من الكيد للمسلمين في السر، فيقابلهم بالاعضاء والصفح، ولا ينقطع عن برهم ومودتهم، ليقتلع من قلوبهم جذور النفاق بالحسني، لأن الصفح عن المسيء أقوى في إقلاعه عن إساءته من مقابلته بمثلها، وقد كان رئيسهم عبدا بن أبي بن سلول أكثر إساءة للمسلمين، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقابل عقوقه بالبر، ويقابل إساءته بالصفح ويقابل ما يضره من العداوة بإظهار المودة، فلما مرض عبدا عادته (صلى الله عليه وآله وسلم) في مرضه، فطلب منه أن يصلي عليه ويقوم على قبره، ثم أرسل إليه يطلب منه قميصه ليكفن فيه، فأرسله إليه،